العلوم الانسانية بين التفسير والفهم

Human sciences between understanding and interpretation

أ. شويني علي

chouiniali21061987@gmail.com

جامعة وهران 2

أ. بدة فوزية

beddafouzia@gmail.com

جامعة8 ماي 1945 قالمة

أ. زموري العياشي

zemmouri.layachi@univ-guelma.dz

جامعة8 ماي 1945 قالمة

تاريخ الاستلام: 30/07/ 2019 تاريخ القبول للنشر: 2019/12/09

ملخص: يعد موضوع العلوم الإنسانية من بين المواضيع التي اثارت اهتمام الفلاسفة والأبستمولوجيين في الزمن الراهن، وهذا يعود بالدرجة الأولى الى طبيعة هذا الموضوع الذي يدور اهتمامه حول الانسان ككائن بات وجوده يفرض ضرورة دراسته، إلا ان منهجية دراسة هذا الكائن كانت محل اختلاف بين الباحثين، فهناك من ذهب الى ان العلوم الإنسانية التي يعد الانسان موضوعها لابد ان تدرسه دراسة علمية من اجل الارتقاء بها الى مصاف العلوم الأخرى خاصة الطبيعية وان الانسان ما هو الا ظاهرة كبقية الظواهر الأخرى التي يمكن دراستها بالاعتماد على المنهج التجريبي ومن ثم إمكانية تفسيرها تفسيرا علميا.

وفي المقابل هناك من ذهب الى ان طبيعة الانسان تفرض الاعتماد على منهج اخر غير المنهج التجريبي الذي يكون التفسير غايته وان الظاهرة الإنسانية لابد من ان تخضع للفهم لا التفسير، ذلك لان الانسان لا يتمتع بنفس خصائص الظواهر الأخرى وبالتالي يصعب التجريب عليه وهذا ما أدى الى استبدال التفسير بالفهم منذ بداية القرن العشرين

تهدف هذه الدراسة الى الكشف على طبيعة العلوم الإنسانية ومن ثم الوقوف على المنهج المناسب لهذا الموضوع والاطلاع على اهمية التفسير والفهم باعتبارهما من بين الاليات التي يتم من خلالها دراسة الانسان، مع الوقوف على الأسباب التي أدت الى استبدال التفسير بالفهم.

الكلمات المفتاحية: العلوم الإنسانية ؛ التفسير؛ الفهم؛ المنهج التجريبي؛ الانسان.

Abstract: The subject of human sciences is one of the topics that raised the interest of philosophers and epistemologists in the present time, and this is primarily due to the nature of this subject, which is concerned with the human being as a creature that requires study. But the methodology of study of this subject was different among researchers. Some think that human sciences, within which the human being is the subject, must be scientific to be raised to the other sciences especially the natural one, and suggests that human being is a phenomenon that can be studied through an experimental method, thus can be scientifically interpreted.

On the other hand, others claimed that the nature of the human being imposes dependence on a method other than the experimental method, based on the idea that human phenomenon must be subject to understanding, not explanation, because the human does not enjoy the same characteristics of other phenomena and therefore difficult to experiment with it and this led to replace interpretation with understanding since the beginning of the twentieth century.

The purpose of this study is to uncover the nature of human sciences and then to determine the appropriate approach to this subject and to understand the importance of interpretation and understanding as mechanisms through which human being can be studied, while examining the reasons that led to the replacement of interpretation with understanding.

Keywords: Human sciences; Interpretation; Understanding ; Experimental Method ; Human being.

مقدمة:

تعد العلوم الانسانية من بين القضايا التي شغلت المفكرين والفلاسفة في الزمن الراهن، فإلى جانب كونها تهتم بدراسة الانسان داخل المجتمع و في علاقته مع الاخرين إلا ان البحث في طبيعتها جعلت الاهتمام بها كبير من طرف الابستمولوجيين والفلاسفة والعلماء، فكان البحث طبيعتها والياتها وموضوعها يحتل الصادرة في الفكر الفلسفي المعاصر خاصة بعد عودة الصلة بين الفلسفة والعلم حيث كان التساؤل اذي طرح في البداية هل ترتقي العلوم الانسانية الى مستوى العلم او بصياغة اخرى هل يمكن اعتبار العلوم الانسانية علم كبقية العلوم الاخرى؟ ولم يتوقف الامر عن البحث في علمية العلوم الانسانية فقط ، فقد اختلف الفلاسفة في معالجة علمية العلوم الانسانية.

بالرغم من اختلاف اراء الفلاسفة المفكرون حول علمية العلوم الانسانية الا انه لا يمكن انكار ان العوم الانسانية اصبحت مطلب ضروري في الزمن الراهن وهذا راجع الى الوضع الذي ال اليه الانسان المعاصر الذي اصبح يتخبط في ازمات مختلفة اجتماعية ونفسية بالدرجة الاولى، فكان السبيل الى بحث هذا الوضع هو الاعتماد على العلوم الانسانية، لكن هذا الاهتمام اثار الاختلاف بين العلماء في طريقة التعامل مع هذا الوضع، فهناك من اعتبر ان التفسير هو السبيل الوحيد والمهج الوضعي هو الاداة المناسبة للتعامل مع الظواهر الانسانية وهنا كمن اعتبر ان الظواهر الانسانية فريدة من نوعها ولا تتكرر عبر التاريخ وبالتالي فإنها ظواهر قابلة للفهم في ظل سياقها التاريخي لا يمكن ان تخضع للتفسير الذي هو ميزة العلوم الطبيعية. فلا يمكن تجاوز هذا التعارض إلا من خلال التأصيل لنشأة العلوم الانسانية ومن ثم الكشف عن المنهاج الذي يكون ملائم لها، لان طبيعة الموضوع

هي التي تحدد طبيعة المنهج وعلى هذا الاساس نتساءل ما مفهوم العلوم الإنسانية، وهل يمكن التأصيل لنشأتها؟ وماهي الاليات المعتمدة والتي يستند اليها في دراسة الظواهر الإنسانية؟ فان كان التفسير ميزة العلوم الطبيعية هل يمكن اعتماده ايضا في العلوم الإنسانية؟ وما هي الاسباب التي ادت الى ابتكار الفهم كمفهوم اخر مخالف للتفسير؟

اولا / مفهوم العلوم الانسانية :

يعد مفهوم العلوم الانسانية من بين المفاهيم التي يصعب الوقوف لها على تعريف جامع مانع لها وهذا يعود الى اختلاف نظرة الفلاسفة والمفكرين وكذلك الابستمولوجيين، مما جعل التعريفات لها تختلف وتتعدد حسب الفلاسفة وهذا الاختلاف لا يقف عند حد التعريف فحسب بل كذلك في التسمية وصياغة المفهوم حيث نجد ان "في التقليد يستخدم مصطلح العلوم المعنوية، حيث يقصد بالمعنوي ما هو عقلي او روحي او نفسي، في مقابل ما هو مادي وهو الذي تتعلق به العلوم الطبيعية[1] "

وبالرغم من ذلك فان التسمية السائدة ايوم في فرنسا هي العلوم الانسانية اما ادى الالمان فقد استعملوا تسمية العلوم الروحية للتعبير عن العلوم الانسانية وهذا ما نجده عند دلتاي الفيلسوف الألماني، اما الانجليز فقد استعملوا مصطلح العلوم الاخلاقية حيث نجد الفيلسوف الانجليزي جون ستيوارت ميل " الذي يعد اول من نعتها بمصطلح العلوم الاخلاقية Les sciences morales الذي يرادف مصطلح Geisteswissenschaftan العلوم الروحية عند الالمان او ما ندل عليه بالعلوم الانسانية، والتي ظهرت في القرن 19م "[2] ، وبهذا يمكن القول انه قد تعدد المسميات الخاصة بالعلوم الانسانية بين العلوم الاخلاقية والعلوم الروحية و العلوم الانسانية وذلك من اجل التمييز بينها وبين العلوم الطبيعية مما جعل دالتاي يعتبرها علوم فهم لا علوم تفسيركما هو حاصل مع العلوم الطبيعية.

ان الاختلاف والتعدد لم يكن على مستوى التسمية فقط بل كذلك على مستوى التعريف حيث يعرفها اندريه لالاند " انها مفهوم حديث لكنه يعم اكثر فاكثر ليدل على ما كلن متفق من قبل على تسميته العلوم الاخلاقية يزداد تشديد هذا التعبير على السمات الممكن رصدها خارجيا، لطريقة تصرف البشر وسلوكهم فرديا او جماعيا" ميشال فوكو بقوله " ان العلوم الانسانية بالفعل تتجه الى الانسان في حالة انه يحيا يتكلم وينتج، فهذه الحالات تشبه الكائن الحي الذي ينمو له وظائف وحاجات ومن خلالها يخلق فضاء يحدد عن طريقه قيمه المتحركة وبشكل عام، فان وجوده الجسدي يتدخل مع فعل الحياة خالقا او مبدعا موضوعات، اشياء ووسائل وتبادل مع غيره الاشياء التي يحتاجها منظما شبكة بموجبها يستهلك وينتج للأخر لكي يستهلك، وهنا يجد نفسه محدد ضمن حلقة داخل سلسلة من العلاقات، ويزداد وجوده المباشر تداخلا وتشابك مع الاخرين، وذلك لأنه يملك لغة من خلالها يركب فضاء من الرموز تتضمن ماضيه المرتبط بعالم الاشياء والاخرين، ومن هنا يستطيع بناء معرفة، وهذه المعرفة التي يملكها حول نفسه هي التي تسمى بالعلوم الانسانية وان هذه العلوم تعبر عن الاشكال الممكنة لتحقق وجوده الانساني الحقيقي"[3] ، اما كلود ليفي ستروس فقد قال عن العلوم الانسانية" يظهر لنا اولا، انه في تاريخ المجتمعات كانت العلوم الفزيائية منذ البداية مكانة فضلى بخلاف العلوم الانسانية التي نجد علمائها قد اهتموا لقرون بل لألاف السنين بمشاكل لا تهم ولا تفيد هذه المجتمعات وان الغموض الذي كان يلازم ابحاثهم اعتبر بمثابة الملجأ الذي يحققون فيه معتقداتهم الذاتية، ومن هذا المنطلق فانهم حاولوا تفسير ما يهمهم و ليس ما يهم الاخرين[4]. "

وقال جان بياجي في تعريفه للعلوم الانسانية" ان العامل الاساسي للتطور العلمي للعلوم الانسانية وبالخصوص علم النفس و علم الاجتماع هو انفصال هذه العلوم عن الجذع المشترك للفلسفة لتحل مجموعة من المشاكل بمنهاج ينبع من بيعة موضوعاتها، ومن

مناهج وظيفتها في العلوم التجريبية ومع ظهور الوضعية امكننا التمييز بين المشكلات العلمية والفلسفية او الميتافيزقية" [5]

ثانيا / التأصيل الفلسفي لنشأة العلوم الانسانية:

ان الحديث عن النشأة العلوم الانسانية يقودنا حتما الى الحضارات القديمة وبشكل دقيق الى الحضارة اليونانية التي عرفت ظهور العديد من المفكرين الذين كان لهم اهتمام واسع بالظواهر الانسانية وبالإنسان ومحيطه ومن بين هؤلاء نجد افلاطون صاحب كتاب الجمهورية الذي تطرق فيه الى الحياة السياسية باعتبار ان الانسان كائن اجتماعي لا يمكن له ان يعيش في معزل عن المجمع وان هذا الاجتماع لابد ان يخضع للتنظيم، فدراسة افلاطون للحياة السياسية والتنظير لها يعد من بين المواضيع التي تهتم العلوم الانسانية بمعالجتها اما ارسطو فقد اهتم هو الاخر بالإنسان وبعلاقته مع المحيط الذي يعيش فيه من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حيث احصى في كتابه القوانين كافة الانظمة التي يمكن ان ينتظم في ظلها المجتمع غير ان هذه المجهودات لا تعد الا البوادر الاولى لظهور العلوم الانسانية، كما انها لا ترقى الى مستوى العلوم الانسانية لأنها ليست دراسة وضعية بل هي عبارة عن استقراء للواقع فحسب من منظور فلسفي، لان الفلسفة في ذلك العهد كانت هي ام العلوم و بالتال كانت كل العلوم متصلة بالفلسفة و لم تستقل عنها الا مع عصر النهضة وبداية العصر الحديث حيث انفصلت العديد من العلوم عن الفلسفة كالعلوم الطبيعية والفيزياء.

ان التأسيس العلمي للعلوم الانسانية لم يكن ايضا في العصر الوسيط وان تجلت بعض مظاهره في الفكر الاسلامي لدى بعض المفكرين مثل الفارابي في السياسة من خلال تنظيره للمدينة الفاضلة مقتفيا بذلك اثر افلاطون في دعوته الى الدولة المثالية في كتابه الجمهورية وكذلك ابن سينا الذي كان له " اهتمام خاص بالنفس من خلال اكتشافه لكثير من المناهج النفسية في معالجة العديد من الامراض النفسية والعصبية والتي سبق من خلالها بعض المناهج الحديثة في علم النفس " [6] وبشكل واضح في فكر ابن خلدون

الذي دع الى دراسة التجمع البشري دراسة علمية تستند الى منهج محكم تكون نتائجه يقينية، وهذا ما استند اليه في تأسيسه لعلم العمران البشري وبهذا " يعتبر منهج ابن خلدون في دراسات المجتمعات فاتحة لمنهج اسلامي في البحث لأنه سار في نفس المنحى الذي ينحوه الفكر الإسلامي وتطابق طبيعة المجتمع الاسلامي من حيث انها تتسم بواقعية ولا تنزع عنها سمة الطابع الاخلاقي النقدي في النظرة الاسلامية"[7] اما في الدراسات الاسلامية فلا يمكن العثور على اي محاولة بشان العلوم الانسانية لان غاية الفكر في تلك المرحلة هو البحث في الالهيات ومحاولة اثبات جود قوة غيبية محركة للكون والانسان لذا كانت كافة الدراسات الوسطية المسيحية ذات صبغة دينية بامتياز لم يكن هدفها الانسان بل اثبات حقيقة تسمو على كافة الموجودات .

يعد العصر الحديث عصر ميلاد العلوم الانسانية والفضل في ذلك يعود الى الفيلسوف الفرنسي رونيه ديكارت الذي ثار ضد كل ما هو تقليدي ديني رافضا بذلك كافة اشكال السيطرة الدينية بما تحمله من تعاليم لاهوتية داعيا الى ضرورة التوجه نحو الالية والعلم فهما السبيل الوحيد الذي يقود الإنسانية نحو التقدم و يخرج الانسان الاوروبي من عصر الظلام الذي بات يعيشه بسبب الكنيسة، فمع ديكارت اخذت الانظار تتحول نحول الاهتمام بالإنسان و دراسة الظواهر الانسانية دراسة علمية، فلقد مهد ديكارت الطريق بذلك لبزوغ علم يكون الانسان هو موضوعه الرئيسي فكان لهذا العلم فروع متعددة ومختلفة" وهذا ما يجعلها تواجه صعوبات نتيجة لتفرع مواضيعها التي تضم العلوم اللغوية والتشريعية والاخلاقية والدينية والاقتصادية والتربوية والجمالية بالإضافة الى العلوم المتعارف عليها : التاريخ ، علم النفس وعلم الاجتماع" [8] مثل علم الاجتماع الذي وضع اسسه الاولى اوجست كونت صاحب الوضعية وان كان قد سبقه من قبل استاذه سان سيمون الا ان الفضل يعود في ذلك الى اوجست كونت وهذا ما يتضح من خلال تقسيمه لمراحل التطور البشري الى ثلاث مراحل متعاقبة و متصلة ببعضها البعض المرحلة اللاهوتية والميتافيزيقية والمرحلة الوضعية وفي هذه المرحلة الاخيرة تجاوز الانسان

التفسيرات السائدة في المرحلتين السابقتين ولم يعد يقنع الا بما هو وضعي حيث كان يرى اوجست كونت ان الظواهر الانسانية لا بد وان تخضع للدراسة العلمية التي تتميز بها العلوم الطبيعة وبات يطبق المنهج التجريبي على الظواهر الانسانية بما تحمله من حالات اجتماعية.

اما في التاريخ فقد برز العديد من ذوي الاهتمام بالحوادث الانسانية عبر التاريخ ويعد فيكو من اشهر الفلاسفة الذين كان لهم اهتمام واسع بدراسة التاريخ ونشأة المجتمعات وتطورها حيث رأى بانه لا بد من دراسة علمية للظواهر التاريخية بحيث تكون هذه الدراسة خاضعة لمنهج علمي محكم " فهو اول من اعلن ان المجتمع الانساني صنعه الانسان، ومن ثمة فان الانسان يمكن ان يفهمه، واعلن في كتابه العلم الجديد ان طبيعة الاشياء لا تعدو ان تكون تلك التي توجد في اوقات معينة وبطرق خاصة"[9] ، كما عاض فيكو فكرة دراسة الظواهر الانسانية بالاعتماد على منهج العلوم الطبيعية لان ما هو طبيعي يختلف عن ما هو انساني وبالتالي مهد الطريق امام فلاسفة الفهم الذين جاءوا من بعده خاصة دالتاي، حيث رأى بان " الطبيعة الانسانية لا يمكن ان تفهم الا من خلال تحليل تاريخي للغة والاسطورة والطقوس"[10] وان المجتمعات تتشابه فيما بينها ولها نفس التجارب الوجودية .

كما برز ايضا في العصر الحديث العديد من الفلاسفة الذين دافعوا عن العلوم الانسانية امثال مونتسكيو في كتابه روح القوانين فكانت الروح في نظره تعبر عن النسق والنظام الذي تخضع له العلاقات معتبرا بذلك كافة الظواهر الانسانية سياسية واقتصادية واجتماعية خاضعة لقوانين ثابتة ففي السياسة ذهب الى ان " تاريخ كل امة ليس الا نتيجة حتمية لقوانينها الاجتماعية، والقوانين في نظره هي العلاقات الضرورية التي تنجم عن طبيعة الاشياء وتوجد بين مختلف الكائنات[11] . "

ان ما يمكن ملاحظته في مسار نشأة العلوم الانسانية هو ان العلوم الطبيعية كانت اسرع تطورا منها وهذا يعود " لعوامل متعددة اهمها سهولة انفصالها واستقلالها عن مختلف

مجالات النشاط الانساني الاجتماعي والروحي، لان موضوعاتها محايدة لا تتميز بالوعي او الارادة ، لذلك كان انتصارها على منافساتها من ضروب السحر والكهانة والشعوذة لا يلقى مقاومة عنيفة، ويؤيدها في ذلك ما كانت تثبته كشوفها من النفع المباشر الذي يتخذ صورة عينية ملموسة"[12] فلقد كانت العوم الانسانية ملازمة للفلسفة الى غاية نهاية القرن التاسع عشر على عكس العلوم الطبيعية التي انفصلت مبكرا عن الفلسفة وشقت طريقها بمفردها مما جعلها مقياس يقتدى به في مجال الدقة واليقين والتطور فكانت دعوة العديد من الابسمولوجيين تتجه نحو رسم السار نفسه الذي سلكته العلوم الطبيعية للعلوم الانسانية وذلك من اجل تحقيق العلمية عينها وبالتالي التعامل مع الظاهرة الانسانية كما يتم التعامل مع الظاهرة الطبيعية وتجريدها من كل ما تتصف به من وعي وحرية وارادة. لكن هل للظواهر الانسانية الخصائص عينها التي تتميز بها العلوم الطبيعية حتى تكون قابلة للتفسير الذي تخضع له الظواهر الطبيعية؟

ثالثا / العلوم الانسانية والية التفسير

لقد ارتبط التفسير بالعلوم الطبيعية حتى بات من البديهي ان الظواهر الطبيعية قابلة للتفسير وان الغاية من المنهج التجريبي هو تفسير الظواهر الطبيعية تفسيرا علميا بالاعتماد على الخطوات التجريبية بدءا من الملاحظة وصولا الى القانون الذي يتم تعميمه على كافة الظواهر المتشابهة، ومع ذلك لا بد من البحث في ماهية التفسير وفي علاقته مع العلوم الطبيعة ولماذا ارتبط التفسير بالظواهر الطبيعية؟ وماهي الاسباب التي دعت بعض الابستمولوجيين الى تطبيقه على الظواهر الانسانية.

ان التفسير" تحديد دقيق لما هو مجهول وغامض"[13] اي ان التفسير عادة ما يكون ازاء الاشياء المجهولة التي نبحث لها عن الوضوح بغرض ازالة الغموض كما انه يكون بهدف " بيان ان موضوع معرفة ما متضمن في حقائق مسلم بها او في مبادئ ليس فقط مسلم بها بل هي ايضا واضحة، اي مستندة الى احكام ضرورية"[14] ، كما ان مفهوم التفسير في العلوم الطبيعية يختلف عن التفسير في العلوم القرآنية، كما ان التفسير لا يعني

الفهم الذي يبحث في المعاني والتعليل الذي يبحث في الانتقال من المؤثر الى الاثر مما يجعل التفسير اعم واكثر شمولا من التعليل اما التفسير في العلوم فيكون بغاية" تفسير الحقيقة العلمية او ايضاحها هو ان نثبت انها متضمنة في غيرها من الحقائق المعلومة، او انها لازمة عن المبادئ البديهية اضطرارا وليس بشرط في الحقائق المفسرة ان تكون اعممن الحقائق المفسرة لان تضمن القضايا شيء، وعمومها شيء اخر. "[15]

ان العلوم الطبيعية قد حققت تقدما مذهلا بفضل المنهج التجريبي الذي يقوم على تفسر الظواهر الطبيعية تفسيرا علميا مما دفع بالعديد من المفكرين الى القول بضرورة الاعتماد على المنهج عينه في دراسة الظواهر الانسانية، من منطلق المماثلة بين الظاهرة الطبيعية والانسانية، حيث اعتبروا ان الظاهرة الانسانية قابلة للتشيؤ وبالتالي يمكن دراستها كما ترش الاشياء الجامدة والموجودة في العلام الخارجي، ويعد الفيلسوف وعا لم الاجتماع اوجست كونت من بين الذين قالوا بإمكانية دراسة الظاهرة الانسانية والاجتماعية كما تدرس الظواهر الطبيعية بالاعتماد على لمنهج التجريبي بغرض تحقيق الدقة والتقدم الذي احرزته العلوم الطبيعية وهو ايضا ما اكد عليه فيما بعد اميل دركايم الذي اقر هو الاخر بان الظاهرة الاجتماعية قابلة للتفسير من خلال التجريب عليها .

ان تطبيق المنهج التجريبي على الانسان قد واجهت العديد من العراقيل التي حالت دون نجاحه وذلك يعود بالدرجة الاولى الى طبيعة موضوع العلوم الانسانية، انه الانسان الذي يرفض التكميم وحصره في قوانين دقيقة ذلك لان "الباحث جزء لا يتجزأ من الظاهرة التي يبحثها، فلا بد ان يشعر اتجاهها بميول واهواء معينة، تفرضها الايديولوجية السياسية والاجتماعية والبنية الثقافية والبيئة الحضارية التي ينتمي اليها"[16] كلها عوامل تؤثر على الدراسة الموضوعية للإنسان وبالتالي فان الدراسات الانسانية من اجل ان تتطور وتتقدم لا بد ان تعيد النظر في الياتها خاصة التفسير وعليه ان كان التفسير غير مناسب لدراسة الانسان فبماذا يمكن استبداله؟

رابعا / العلوم الانسانية ومسألة الفهم

لقد حققت العلوم الطبيعية تقدما مذهلا من خلال الاعتماد على المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية وتفسيرها غير ان هذا التقدم بالرغم من انه نال اهتمام العديد من المفكرون إلا ان بعضهم رفض فكرة اخضاع العلوم الانسانية للمنهج التجريبي وتفسيرها بالاعتماد عليه، حيث اقر بعضهم ان زمن التفسير قد انتهى مع العلوم الطبيعية وان طبيعة موضوع العلوم الانسانية تختلف عن طبيعة موضوع العلوم الطبيعية وبالتالي فانه لا يمكن ان تخضع للتفسير مادام الموضوع مختلف لذا استبدلوا التفسير بالفهم والتأويل كونه منهج يتناسب الى حد بعيد مع موضوع العلوم الانسانية وعليه كيف يتم اخضاع الظواهر الانسانية للفهم والتأويل؟

برز في المطلع القرن العشرين تيار فلسفي يدعو الى دارسة الظواهر الانسانية دراسة تختلف عن تلك التي كانت تخضع لها في اقرن التاسع عشر من خلال الاعتماد على المنهج التجريبي والتفسير الذي يصلح تطبيقه على الظواهر المادية التي يكون موضوعها كل ما هو مادي قابل للتحكم والسيطرة على عكس الانسان الذي يفلت من كل ما تخضع له الظاهرة الطبيعية وبالتالي لا بد من استبدال التفسير بالفهم لان الفعل الانساني قابل للفهم والتأويل اكثر من التفسير وبالفهم يمكن فهم مقاصده ودلالاته التي ترتبط برغبات الذات الانسانية. وهذه الطريقة الجديدة في فهم الظواهر الانسانية مهدت لها الفينومينولوجيا مع هسرل ذلك لأنه يعد اول من طرح عائق الذات الدارسة في العلوم الانسانية، اين تتحول الذات العارفة من دارس الى موضوع دراسة مؤكدا على طابع القصدية في المعرفة بالنسبة للذات اي ان الذات تتجه نحو موضوعها اتجاها قصديا بهدف معرفته وفي هذه الحالة كيف يمكن ان تكون الذات العرفة موضوع دراسة في الوقت عينه؟ هذا ما اراد اصحاب الهرمينوطيقا الاجابة عنه من خلال الاعتماد على منهج التأويل والفهم.

يعد شلايرماخر الاب الروحي والمؤسس الفعلي للهيرمينوطيقا، فقد نشأت في البداية في احضان الدين وظيفتها قراءة وفهم النصوص الدينية وتأويلها، لكن شلايرماخر قد قام

بخطوة مهمة تمثلت في اخراج الهرمينوطيقا من الاهتمام الديني نحو اللسانيات، فالتأويل عنده هو عملية في الفهم –وبتعبير ادق– هو فن الفهم ،استعمل في اللسانيات وقراءة النصوص من خلال " اعادة معايشة للعمليات الذهنية لمؤلف النص، انها تبدأ من تعبير ثابت ومكتمل، ان المتحدث يبني جملة والمستمع ان ينفذ الى داخل بناء الجملة وبناء الفكرة"[17] حيث يخضع التأويل عند شلايرماخر الى مرحلتين او الى مستويين، في المرحلة الاولى يهتم القارئ بالجانب اللغوي للنص الذي هو" نتاج لغوي من اطر لسانية متداولة لدى مجموعة بشرية انه الجانب الموضوعي الذي يسعى من خلاله القارئ الى اعادة احياء تجربة المؤلف الذي لا يمكن فهم ما يقوله الا من خلال اللغة "[18] والمرحلة الثانية تتمثل في التأويل السيكولوجي للنص حيث يسعى القارئ الى البحث في نفسية المؤلف والبواعث النفسية التي دفعت به الى كتابة انص لكن الغاية هي تأويل حديثه لا استرجاعه كما هو موجود بين يدي القارئ، فلا يمكن للتأويل ان ينجح الا بالتكامل بين المرحلتين، مما يجعل التأويل يسير وفق شكل دائري يهتم بالأجراء ويستند الفهم الى الجزء في علاقته بالأجزاء الأخرى وفي علاقته بالكل مما يخلق تفاعل جدلي بين الاجزاء والكل.

اذا كان الفضل يعود الى شلايرماخر في اخراج الهرمينوطيقا من الدين نحو اللسانيات ، فان دالتاي يعود اليه الفضل في نقل الهرمينوطيقا الى مجال العلوم الروحية واعتبارها الاساس المنهجي الذي يجب ان تعتمد عليه العلوم الروحية، فالهرمينوطيقا هي الاداة الاقرب الى فهم الانسان ودراسته بهدف ايجاد تفسير لكل افعاله حيث يقول:" نحن نفسر الطبيعة، اما الانسان فان علينا ان نفهمه"[19] مما جعله يثور ضد كل الآراء السائدة في عصره والتي تحث على ضرورة دراسة الظواهر الانسانية دراسة وضعية دون اعارة اي اهتمام للفروقات الموجودة بين العلمين وكأن الدراسة الوضعية هي الوحيدة التي من شأنها ان تجعل من العلوم الانسانية علما لان العلوم الانسانية عند دالتاي " تبحث في الفهم الانساني للقيم وابداعاته المختلفة في الدين والفلسفة والفن، وبالتالي فموضوعها

يكمن في الانسان نفسه هذا على عكس العلوم الطبيعية التي تتناول الظواهر المحسوسة في الطبيعة الخارجية[20]. "

يرى دالتاي ان الدراسات الانسانية لا يمكن ان تضم كافة العلوم ،فهي تتعلق بالعلوم التي يكون موضوعها الانسان، اما غير ذلك فلا يمكن ان يدرج في الدراسات الانسانية التي تفرض اجتماع ثلاثية الحياة والتعبير والفهم حيق يقول: "لا ينتمي علم ما الى الدراسات الانسانية ما لم يصبح موضوعه متاحا لنا من خلال اجراء قائم على العلاقة المنهجية بين الحياة والتعبير والفهم"[21] ، فهذه المفاهيم الثلاث تعد مفاتيح الفهم عند دالتاي وعلى اساسها يصبح الفهم ممكنا ، فالحياة هي الخبرة المعاشة التي تتمثل في الفعل الانساني الذي لا يكون خارج الوعي حتى لا يتحول الى موضوع للوعي انما هي المعنى قبل اي تأمل " فالخبرة ليست موضوعا للوعي بقدر ما هي فعل للوعي، وينبغي الا نتصورها كشيء يقف الوعي بإزائه ويعيه"[22] ، اما التعبير فانه لا يقتصر على المشاعر والأحاسيس بل يتضمن الانطباعات التي يكونها الانسان عن الحياة، وبالتالي "يمكن للتعبير ان يشير الى فكر، قانون، شكل اجتماعي، لغة، اي الى اي شيء يعكس بصمة الحياة الداخلية للإنسان"[23] ، والفهم عنده عملية ذهنية يمكن من خلالها فهم الانسانية و من خلاله يمكن للإنسان ان يتواصل و يتصل بغيره حيث تتحول معه تجربة الاخر الى وعي لتجربته بالدرجة الاولى مما يجعل الفهم ليس " مجرد فعل فكري، وانما هو انتقال واعادة معايشة العالم كما يجده شخص اخر في الخبرة المعاشة، وليس الفهم عملية مقارنة واعية تأملية، بل عملية تفكير صامت يتم فيها انتقال المرء بطريقة سابقة على التأمل الى دخيلة الشخص الاخر، ان المرء ليعيد اكتشاف نفسه في الشخص الاخر"[24] وبناءا على هذا يمكن القول ان الفهم هو الاداة الوحيدة التي يمكن من خلالها فهم الانسان من الداخل و الخارج و تبرير افعاله في ظل السياق التاريخي والزماني الذي تنشأ فيه، فالفهم غايته بلوغ المعنى الناتج عن التفاعل القائم بين الكل والاجزاء في شكل دائري كما قال من قبل شلايرماخر .

ان كان ماكس فيبر يعتبر التفسير اداة ضرورية في دراسة الحياة الانسانية و دلتاي يعتبر الفهم هو الطريق الوحيد في بلوغ المعرفة الانسانية فان بول ريكور يرى بان اول مسالة يجب تجاوزها في العلوم الانسانية هو ذلك التعارض القائم بين التفسير والفهم، فتأويل الفعل الانساني لا يتطلب اقصاء التفسير ولا الفهم مرادف للتأويل، فلا بد من تصحيح المفاهيم اولا وتوضيع العلاقات القائمة بينها اي ان دراسة الظاهرة الانسانية عند ريكور تفرض وجود الفهم والتأويل والتفسير فهذه الثلاثية هي الاداة الاساسية التي يجب الاستعانة بها في العلوم الإنسانية حيث يقول ريكور" لا بد من ترتيب المصطلحات الثلاث على النحو التالي : فهمComprendre ، تأويل Interpreter، وتفسير Explique بدلا من ان نجعل التأويل مرادفا للفهم، والتفسير مقابل للفهم –كما هو الحال عند دالتاي– ولكن دمج فهم وتفسير في التأويل"، وعليه فان ريكور يدعو الى ضرورة الجمع بين التفسير والفهم في التأويل دون الفصل بينهما او جعلهما متقابلان كما فعل دالتاي من قبل لأنه نظر الى التفسير على انه مقابل للفهم ومجالهما مختلف فمجال التفسير هو العلوم الطبيعية والفهم مجاله العلوم الإنسانية .

خاتمة:

مما تقدم يمكن القول ان العلوم الانسانية من بين العلوم التي ثارت اهتمام الفلاسفة والمفكرين ورجال العلم فهذا الاهتمام يعود الى طبيعة الموضوع الذي تحمله هذه العلوم وكيفية التعامل معه من حيث المنهج، فبما ان موضوعها الانسان فان هذا الكائن يفلت من قبضة الألية و التجربة حيث يصبح التفسير اسلوب غير ممكن في دراسته مما دفع البعض الى القول بان الظاهرة الانسانية يجب ان تخضع للفهم من خلال مراعاة سياقاتها المختلفة مما يجعل امكانية التشابه بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية امر غير ممكن، فبالرغم من مجهودات الابستمولوجيين خاصة فانه لم يتمكن العلو المعاصر من تجاوز هذا الطرح ولا تزال العلوم الانسانية الى اليوم تتدحرج بين الفهم والتفسير بالرغم من ان الغاية

منهما هو بلوغ الدقة واليقين والارتقاء بالعلوم الانسانية الى العلمية من اجل ان تصبح علم يضاهي بقية العلوم الاخرى في التطور ودقة النتائج المتوصل اليها.

هوامش:

[1]- الهام بن حواس ، اشكالية المنهج في العلوم الانسانية هانز جورج غادامير –نموذجا– ، قسم الفلسفة ، جامعة وهران ، الجزائر ، 2013 / 2014 ، ص 29

[2]- المرجع نفسه، ص 28.

[3]- – اندريه لالاند ، الموسوعة الفلسفية ، ج 3، ترجمة : خليل احمد خليل، بيروت ، ط 1 ، 1996 ، ص

[4]- الهام بن حواس ، اشكالية المنهج في العلوم الانسانية هانز جورج غادامير –نموذجا – المرجع السابق ، ص35

[5]- المرجع نفسه، ص 35.

[6]- المرجع السابق، ص 32

[7] – مصطفى حلمي ، مناهج البحث في العلوم الانسانية بين علماء الاسلام و فلاسفة الغرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2005 ، ص 175.

[8]- الهام بن حواس ، اشكالية المنهج في العلوم الانسانية هانز جورج غادامير –نموذجا– المرجع السابق ، ص 27.

[9]- صلاح قنصوة ،الموضوعية في العلوم الانسانية ، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع ، د.م ، 2007 ، ص 41.

[10] – عادل مصطفى ، فهم الفهم مدخل الى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من افلاطون الى جادامر ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة،ط 1 ، 2007 ، ص 125 .

[11]- صلاح قنصوة ،الموضوعية في العلوم الانسانية، المرجع السابق، ص 42.

[12]- المرجع نفسه، ص 26.

[13]- مراد هبة ، المعجم الفلسفي ، دار قباء الحديثة للطباعة و النشر والتوزيع ،القاهرة ، 2007 ، ص 203.

[14]- المرجع نفسه، ص 203.

[15]- جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ،ج2 ، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة ، بيروت ، 1982، ص314

[16]- يمنى ريف الخولي ، مشكلة العلوم الانسانية تقنينها وامكانية حلها، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1990، ص89.

[17]- الهام بن حواس، اشكالية المنهج في العلوم الانسانية هانز جورج غادامير –نموذجا– المرجع السابق، ص 53.

[18]- المرجع نفسه، ص 53.

[19]- عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل الى الهرمينوطيقا ، المرجع السابق، ص 130

[20]- الهام بن حواس ، اشكالية المنهج في العلوم الانسانية هانز جورج غادامير –نموذجا- المرجع السابق، ص 58

[21]- عادل مصطفى، فهم الفهم مدخل الى الهرمينوطيقا ، المرجع السابق، ص130

[22]- المرجع نفسه، ص 132.

[23]- المرجع نفسه، ص 137.

[24]- عادل مصطفى ، فهم الفهم مدخل الى الهرمينوطيقا، المرجع السابق، ص 143.